أشره السمك

وأشده طمعاً

طبائع سمك عجيب في ضراوته

من اكثر من قرن كتب الرحالة همبولت ما يلي : — في صباح اليوم الثالث من ابريل اصطاد الهنود الذين رافقونا سمكاً يعرف في هذه البلاد باسم « كريب » او « كرايبتو » ولا يُعرف صنف آخر من السمك يجاريه في شرهه وولعه بالدم : فهو يهاجم المستحمين والسابحين فينهشهم ويقرض بضعة من لحمهم والهنود يخشون هذا السمك وقد أرانا فريق ندوباً في اجسامهم ولا سيما الفخذين أصابوا بها من نهشه

« والسمك يسبح في قيعان الانهر ولكن اذا سفكت قطيرات من الدم في ماء النهر ارتفعت الوف منه الى سطح الماء ، فاذا جرح سابح وهو يسبح هاجمه السمك فلا ينجو منه سليماً . واذا هجمت سمكة عليه وجرحته جرحاً يسيراً كفى الدم السائل من الجرح لدفعها ثانية اليه فتنهشه

« واذا تأملنا هذا السمك وعدده و[illegible] وطوله لا يزيد على اربع بوصات او خمس ، واسنانه المثلثة الحادة وسعة شدقيه ، لم يدهشنا ما يحركه في الناس من الرعب »

بهذه الكلمات وصف همبولت ما قد يكون الصورة الاولى الدقيقة لسمك يصفه العلماء بانه « اشره السمك المعروف في العالم »

يعرف هذا السمك في جنوب اميركا بأسماء متعددة ، ولما كان معظم سكان برازيليا حيث اللغة البرتغالية هي اللغة الرسمية ، فالاسم الذي يطلق عليه هناك هو « بيرانا » [illegible] ويلفظ حرف [illegible] مخففاً ، وهو الاسم الذي سنعتمده . [illegible] جسم « البيرانا » [illegible] عريض منبطح في الجانبين ، و[illegible] لا يزيد طوله على قدم والمعدل اقل من ذلك .

موطنه في الشرق من جبل الانديس من فنزويلا الى شمالي الارجنتين ثم جنوباً الى نهر [illegible] . ومع انه يقطن جميع الانهر والجداول الا انه يقتصر على تعاقب المياه [illegible] كي فوق الشلالات وغيرها . وهذا من بواعث الارتياح لانه لو كثر في جداول الانهر لتعذر على الذين يخوضون المياه المتدفقة بينها قصد الاجتياز من ضفة الى ضفة . ومع ان هذا الصنف من السمك يعد ضئيلاً بين اصناف السمك ، الا ان عدده في منطقة ما كبير جداً علاوة على انه شره شديد الشراهة

هذا السمك مشهور بانه أضرى السمك ضراوةً . وهو قرضاب (شره) لا يدع شيئاً لا أكله omnivorous ويهجم على كل حيٍّ من الاحياء يسوقه القدر الى موطنه . ومعظم اللواحم (carnivorous) تأكل أحياء أصغر منها ولكن هذا السمك يأكل كل شيء من السناد الى البكاري Tapir[1] (اسم علمي لحيوان ثديي صغير مسالم في العالم الجديد) بل كم يأكل نوعه على نحو ما قال شوقي (فانك هرة أكلت بنيها وما ولدوا وتنتظر انبيا)

ومعظم قوت هذا السمك مستمد من موطنه ولذلك يفترس السمك الذي يعيش في الأنهر والبرك والبطائح . وعليه فيجب ان يكون السمك الذي يعيش في موطن « البيرانا » دائم اليقظة لانه اذا غفل عنه لحظة واحدة فقد يكون في ذلك أجله المحتوم . وكثير من السمك الذي يصطاده أبناء البلاد تظهر فيه آثار نهش البيرانا مثل زعانف مكسورة وما أشبه

وكتب هوني يقول : إن ما يشتهيه هذا السمك هو الدم لا اللحم . فطعم الدم يحركه كما تحرك رائحة البارود فرس القتال . ولا تكاد السمكة تذوق طعم الدم حتى تنتشي فوراً من الغضب وسورة

فوجود حيوان مجروح في الماء او قذف قطعة من اللحم الطري فيه يفعل فعل السحر في جذب سمك البيرانا من مكمنه المائي العميق الى سطح الماء واذا البركة الساكنة الهادئة كأنها المرآة تصبح في لحظة وهي تموج بالاسماك تلتوي وتنقلب تنافس بعضها بعضاً في نهش اللحم فكأن البركة غدت قدراً كبيراً يغلي ويفور . وقد يلبث زاحف او اي حيوان آخر في نهر ألفه هذا السمك بغير ان يهاجَم اذا لم يكن في جسمه جرح يرشح . ولكن اذا كان في جسم الحيوان جرح صغير وقطرت منه قطرة واحدة من الدم هجم عليه السمك

وكثيراً ما يصطاد الصيادون من أبناء البلاد سمكاً بصنارة فيحدث احياناً ان الصنارة لا ترتفع من الماء الا وقد علق بها هيكل تحت نهش كل لحمه او معظمه . وقد يروي ميلر انه من نوادر الاستطراد طائر على أثر اصابته برشاش الصياد اذا سقط في ماء يقطنه هذا السمك فالسمك يلتهمه فلا يبقى منه الا ريشه . واذا كان الحيوان الساقط من ذوات الثدي لم يبق منه الا عظمه

ويروى ان تيودور روزفلت رئيس الولايات المتحدة الاسبق اصطاد حيواناً يدعى كابيبارا Capybara (وهو اسم برازيلي لحيوان ذي جسم شبيه بالخنزير الهندي والارنب الهندي له ثلاث اقدام ويشبه فرس البحر) وهو من فصيلة القوارض ، فوقع في نهر حيث البيرانا فما انقضت عشر دقائق حتى أُنهش لحمه . ويقول ذلك جيرون انه قذف خروفاً في نهر يكثر فيه هذا السمك فالتهم السمك لحمه في دقيقتين ونصف دقيقة

---

(١) عن شرف خيس انه خمسة انواع واحد منها في الهند واربعة في اميركا الوسطى والجنوبية ... هو حيوان على صفة الفيل الا انه أصغر منه حجماً وأعظم من الثور

ولعلماء التاريخ الطبيعي طريقة يتبعونها بعد صيد حيوان من الحيوانات. ذلك انهم يسلخونه فيحتفظون بالجلد ويقذفون بالجثة في نهر او جدول قريب ، فاذا كان الجدول من الجداول التي يعيش فيها هذا السمك فلا تلبث الجثة في الماء حتى يهجم السمك عليها فيمزقها اربا اربا . ويقول ميلر انه في اثناء التنافس على نهش جثة ما يقذف السمك بعضه بعضاً خارج الماء

ويروي هلتون ربس حادثة عجيبة اتفقت له وهو يرود مجرى نهر الاورينوكو قال انه شاهد صقراً ينقض وبين مخالبه حية فاقترب في اثناء انقضاضه من سطح الماء . ولا يعلم ربس ما حدث فعلاً وهل مست الحية سطح الماء ولكنه رأى بعينه سمكاً من صنف البيرانا تشق الماء بسرعة البرق وتنتزع الحية وتغوص بها الى القعر

وقد شاهد باحث يدعى هارتلي في اثناء ارتياده غيانا البريطانية ما يؤيد رواية ربس فقال ان في تلك المنطقة نوعاً من العصافير — يُدعى كسكاداي — يطير في الأجم التي على حافة الجدول ويحوّم فوق مائه فيلتقط الحشرات او قد يصيب احياناً سمكاً صغيراً يصطاده . وعادة هذا الطائر أن يضرب الماء بذيله وهو يلتقط فريسته فيتطاير رشاش الماء . وهذه الضربة ترتدّ في نحره لانهُ في كثير من الاحيان تكون سمكة البيرانا بالمرصاد فتشق الماء كالسيف وتقبض على الطائر قبل ان يستطيع الطيران فتلتهمهُ

ومع ان هذا السمك يأكل على الاكثر ما يصيده من السمك الحيّ في الماء الا انهُ يأكل اشياء اخرى كالخبز والثمار والحبوب . وقد روى هارتلي ان في غيانا البريطانية مصنعاً كيماويّاً يستخرج الزيت من ليمون الماء وباقي قشر الليمون بعد استخراج الزيت منهُ في الماء فتلتهمهُ سمك البيرانا . والباحثون غير متفقين في هل هذا الصنف من السمك يأكل بعضهُ بعضاً . فقد روى ميلر ان هذا السمك اتى على جيف القردة والعصافير التي القيت في نهر بلكومايو فمزقها اي جرد لحمها عن عظمها ولكن عندما التي اليه بسمك ميت من نوعه عافه . ويرى تيودور روزفلت ان سمك البيرانا لا يأكل بعضهُ بعضاً . ويخالفهما جميع علماء التاريخ الطبيعي الذين فحصوا عن رأي في هذا الموضوع . فشومبورجك اصطاد سمكة من البيرانا بصنارة ثم نزعها من الصنارة والقاها حالاً في الماء عند ضفة الجدول فعادت الى الحياة وسبحت في الماء ولكن هجم عليها نحو عشرين سمكة من نوعها وجردوا لحمها عن حسكها . والقى مديره قطعة من الكمك دمي فيه خامض الكربونيك فاكل سمك البيرانا فتأثر بالخامض السام ورجع الى الماء فهاجمه سمك من نوعه واكلهُ

وسمك البيرانا يستطيب خاصة لحم البشر ، وتجد الدليل على ذلك في كل كتاب كتبه مؤرخ طبيعي عن جنوب اميركا من همبلت الى بيب . فيلر يروي ان سمكة نهشت قطعة من اصبعه ويروي نورن انهُ رأى بعينه سمكة تقطع ابهام احد بحارته . ويسرد ماك جفرن حوادث اخرى

من هذا القبيل ولكن تدري رأى الموت عن كثب . فقد كان يصيد هذا السمك من فرع شجرة متدلٍ فوق النهر وكان الصيد حسناً لكثرة السمك . ولكنه فقد توازنه وهو يصيد وسقط في النهر . ولم يكن الشاطيء بعيداً عنه فسبح اليه بأقصى قوته فلم يصل الا بعد ان نهشه السمك في غير موضع . وهو مقتنع بأنه لو فقد وعيه بضع ثوان وعجز عن السباحة لما خرج من الماء حياً

وليس بين علماء التاريخ الطبيعي من هو أعرف بمجاهل البرازيل من الكولونيل روندن الذي صحب تيودور روزفلت في رحلته الى «نهر الشك» . ومن رواياته أنه يعرف فتى في الثانية عشرة من العمر خاض ماء جدول يقطنه هذا السمك للسباحة فهاجمه السمك ونهشه في ذراعيه وفخذيه وهو يحاول ضربه للافلات منه وأخرج الفتى من الماء وهو على آخر رمق ولم يشف الا بعد علاج دام ستة أشهر . وحدث مرة أخرى ان احد رجاله فجر عموداً من الديناميت في ماء نهر فقتل كثير من السمك وداخ كثير وطفا الجميع على سطح الماء فخاضه الرجل يجمعه فامتلأت يداه بما جمع فوضع سمكة بين ثناياه واتفق أن تلك السمكة كانت من نوع البيرانا وكانت دائخة فعادت الى الحياة وقطعت قطعة من لسانه فنزف الجرح حتى خشي الموت نزفاً

وفي أحد الايام خرج أحد الرجال من المضرب الذي كان فيه الكولونيل روندن على بغل أسود وبعد قليل عاد البغل بغير راكبه . فاقتفوا اثره في الغابات حتى وصلوا الى نهر فعثروا هناك على هيكل الرجل العظمي وقد جرد من لحمه ولكنهم لم يعلموا هل سقط في الماء فغرق فأكله السمك او نهشه السمك حياً

وخطر هذا السمك لا ينقضي بعد صيده واخراجه من الماء فاذا صيد سمكة وجب ان يدق رأسه حتى يفقد الشعور قبل نزع الصنارة من حلقه ولكن في [illegible] يحاول ان ينزع الصنارة من حلق سمكة بغير ان يدق رأسها فتنشب السمكة بأصابعه [illegible]

ومن تجارب روزفلت في هذا الصدد انه [illegible] تجعل [illegible] بعد صيدها والقاها على ظهر سفينة . فاخذت تتلوى كأن قوة شيطانية تحركها . وقد رأى سمكة شديدة [illegible] الضيق [illegible] خشب [illegible]

ومن العجب [illegible] اذا صيدت تصيح وتصرخ [illegible] العلمي على صحة هذه المشاهدة تعذر على [illegible] تصديقها . وهؤلاء [illegible] لا تقبع [illegible] عند ما تخرج من الماء [illegible] كانت [illegible] قطعة [illegible] جراف اذ قال «انها تصيح صياحاً لا يوصف الا [illegible] خفيف وهو يرتفع من الانف من عمقها» وروزفلت اذ قال ان صوتها «زعيق غريب» ولكن يشفع فيها أنها لذيذة الطعم